



رحلة معاذٍ إلى اليمن

04 برنامج أمل وانتصار

محاضرة في الأردن

2021-02-15

عمان

الأردن

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ: يَسْبِقُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يُفْعَلُ وَأَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا، وَأَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأُزِقْنَا أَتْبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرُوقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

مقدمة:

عنوان لقائنا اليوم: رحلة معاذٍ رضي الله عنه إلى اليمن، كما تعلمون فإن معاذَ بن جبل رضي الله عنه أحد الصحابة الكرام الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلةٍ دعويةٍ، مهمةٍ دعويةٍ إلى اليمن ليدعو الناس إلى الإسلام ويكون سفيرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن، وكان في هذه الرحلة الجميلة دروسٌ وعبرٌ يمكن أن نستفيد منها.

فقد ثبت في الصحيح أن أخِي عهد معاذَ بن جبل رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل سفره إلى اليمن، ودَّع رسول الله صلى الله عليه وسلم وداع المُحِبِّ لحيبيه وذهب إلى اليمن وتوقَّع بعد رحلةٍ دعويةٍ مباركةٍ، فالنبي صلى الله عليه وسلم في وداعه كان له جملةٌ مِنَ النصائح، وهنا موطن الشاهد الذي نريد أن نستفيدة: هذه النصائح التي نصح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذَ بن جبل.

مرتبة الخُلُق العالية:

في صحيح البخاري:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخْرَجَ مَا أَوْصَانِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَصَعْتُ رِجْلِي فِي الْعُزْرَةِ أَنْ قَالَ: "أَحْسِنُ

حُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ" }

(صحيح البخاري)

(جِنَ وَصَعَتْ رَجُلِي فِي الْعَزْرِ) العبير من أجل أن يمضي إلى سفره، (أَحْسِنُ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بَنَ حَبَلٍ) آخر وصية أوصاه بها عندما ودَّعه قال: (أَحْسِنُ خُلُقَكَ)، قالوا: "نحن إلى قليلٍ من الأخلاق أحوح إلى كثيرٍ من العلم".



تتاء الله عز وجل على خلق النبي الكريم
إخواننا الكرام؛ العمل يُحصَل بالمدارس، بالمطابفة، لكن الخُلُق مرتبةٌ عاليةٌ، لَمَّا أُتِنِي اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَكَانَ فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِظَائِمِ الْأُمُورِ الْكَثِيرِ؛ فَهُوَ سَيِّدُ الْخُلُقِ وَحَبِيبُ الْحَقِّ، وَعِنْدَهُ مِنْ جَمَالِ الصُّورَةِ، وَعِنْدَهُ مِنْ حُسْنِ الْقِيَادَةِ، وَعِنْدَهُ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ، وَعِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ، لَكِنَّ اللهُ تَعَالَى لَمَّا أُتِنِي عَلَيْهِ قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)

(سورة القلم)

وتعلمون جميعاً أن (عَلَى) في اللغة العربية تُفيد الاستعلاء، لذلك يقول الله تعالى في قرآنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقَمَنْ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (22)

(سورة الزمر)

(أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أي غارقون في ضلالهم، لكن عندما يتحدث عن المؤمنين يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

(سورة البقرة)

(أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ) فالهدي يأتي معه (عَلَى) لأن الإنسان عندما يهتدي فإنه يستعلي على أحوال البشر مما يخوضون به من الكلام السيء والغيبة والنميمة، فجاءت (عَلَىٰ هُدًى) متمكنون من هداية ربهم، أما الضلال: فهم في ضلالهم يعمهون، غارقون في الأحوال والشهوات.

فلما وصف نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أتى عليه قال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) أي أنت متمكّنٌ مِنَ الأخلاق، يمكن أن نقول: إننا ذو خُلُقٍ، لكن قليلٌ مِنَ الناس وعلى رأسهم الأنبياء يكونون عَلَى خُلُقٍ، ما الفرق بين أن تقول: فلانٌ ذو خُلُقٍ، أو أن تقول: فلانٌ عَلَى خُلُقٍ؟ إن قلت: فلانٌ ذو خُلُقٍ، يعني صاحب خُلُقٍ، عنده أخلاق ولله الحمد، أما عَلَى خُلُقٍ فهو متمكّنٌ مِنَ أخلاقه، متمكّنٌ مِنَ الأخلاق بمعنى أنه لا يأخذ وقتاً لأخذ قراره فِي الصَّدَقِ أو فِي الأمانة لا يتردد، الصدق عنده مبدأ، أما الإنسان صاحب الأخلاق فقد يتردد أحياناً فتنازعه نفسه إلى قبض مبلغٍ مِنْ حرامٍ تَمَّ يَعْفُ عنه خوفاً مِنَ الله، أما لما يتمكّن الإنسان مِنَ الأخلاق فيمجرد أن يرى قرشاً فيه شبهةٌ يقول لك: لا أخذه، لأنه أصبح عَلَى خُلُقٍ، هذا معنى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ).

الحض على التعبير عن المشاعر:

فصاحب الخلق صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يوصي حبيبه معاداً، وأقول: حبيبه؛ لأنه قال له يوماً:

{ عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدَ يَدَيْهِ وَقَالَ: يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجُتُّكَ، ثُمَّ أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ }

(رواه أبو داود والنسائي)

(يا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجُتُّكَ) وتخيّلوا كيف قضى معاذ تلك الليلة بعد أن قال له الحبيب: (إِنِّي لِأَجُتُّكَ)، ثم أوصاه فقال: (لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيَّ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ، وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ).



المؤمن لا يبخل في التعبير عن مشاعره

(يا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجُتُّكَ) وعلمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أحببنا آخر أن نُعلمه بذلك، بعض الناس يَصُتُّونَ بالمشاعر، عندهم بخلٌ بالمشاعر، يحمل في قلبه مشاعر الحب لزوجته ولأولاده وإخوانه لكنه يبخلُ بالكلمة، يجودُ عليهم بالمال وبالطعام وبالشراب لكنه يرى أنه ليس مِنَ المناسب أن يقول لزوجته: إِنِّي أَحِبُّكَ، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الحمد لله الذي رزقني حُبَّهَا، حُبَّ حَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

{ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا عَزَّرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى حَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ إِذَا دَبَّحَ الشَّاءَ، قَيِّقُولُ: «أُرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ حَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَعْصَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ حَدِيجَةَ: فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ «إِنِّي قَدْ رُفِئْتُ حُبَّهَا» }

(رواه مسلم)

ولمّا سُئِلَ في محفلٍ مِنْ أصحابه:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا }

(صحيح ابن ماجه)

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركُ التعبير عن المشاعر:

{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعَلِّمُهُ إِنِّي بِهِ }

(رواه الترمذي)

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لِأَجِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَلِّمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَعَلِّمْتَهُ، قَالَ: فَلَجِئْتُهُ فَقَالَ: إِنِّي أُجِئُكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ { (رواه أبو داود)

فما الذي يمنع أن يُعَبَّرَ الإنسان عن مشاعره لأولاده، لزوجته، لأحفاده، لمن حوله مِنَ الأصدقاء.

فالنبي صلى الله عليه وسلم عَلَّمنا ذلك مع معاذ فأعلمه بأنه يُحِبُّه، فلذلك أقول: أوصى حبيبه، فقال له: (أَحْسِنُ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ).

الإحسان في الدعوة إلى الله:

الناس أيها الكرام! ما الذي يُشَدُّهم إلى الدِّين؟ الآن معاذ ذاهبٌ في رحلةٍ دعويةٍ لو دخل إلى الناس فطأ غليظ القلب لَانْبَعُثُوا مِنْ حَوْلِكَ □ قَاعُفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ □ إلى الناس بفظاظٍ وبغلاظةٍ مهما يحمل من عِلْمٍ ومهما يأت من دعوةٍ فإنهم سينفرون منه لأن الله تعالى خاطب نبيه الكريم فقال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ □ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظًا أَلْقَيْتَ أَبْعَظًا مِنْ حَوْلِكَ □ قَاعُفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ □
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

(سورة آل عمران)

فلماذا يكون عند بعض الدعاة فظاظٌ وغلاظةٌ، ومع أن الله تعالى ما أراد ذلك لِنَبِيِّهِ الذي أوتِيَ الوحي، فنحن أولى الناس بأن نتبعد عن الفظاظ في الدعوة، وعن الفظاظ في النصيحة وفي الإرشاد.

لما جاء رجلٌ إلى هارون الرشيد وقال له: سأعطُكَ، وأغلُظُ عليك، قال: ولم الغلُظة يا أخي، لقد أرسل الله تعالى من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مني، أرسل موسى إلى فرعون، قال له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)

(سورة طه)

فنحن نحتاج إلى القول اللين، فهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعه بهذه الوصية: آخر ما أوصاه به قال (أَحْسِنُ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ). أنت تكسب قلوب الناس بالإحسان، لذلك قالوا: (الإحسان قبل البيان)، قيل أن تتكلم أحسن يُصبح لكلامك معني مختلف، الناس يُحبون الكلمة الطيبة ويُحبون الابتسامة الصادقة، يُحبون الصدق والأمانة فهذا كله من حُسن الخلق، فأوصاه وصيته فقال: (أَحْسِنُ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ).

نماذج عن الأدب عند النبي الكريم والصحابة الكرام:

الآن حديثٌ آخر أيضاً وكل الأحاديث في رحلة اليمن:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاجِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَعَ قَالَ: " يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَىٰ أَلَّا تُلْقَانِي بَعْدَ غَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا وَقِيرِي ". قَبِيَكَ مُعَاذٌ جَسَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اتَّفَعَتْ يَوْجُهُ تَحُو الْمَدِينَةَ فَقَالَ: " إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا " (رواه الإمام أحمد)

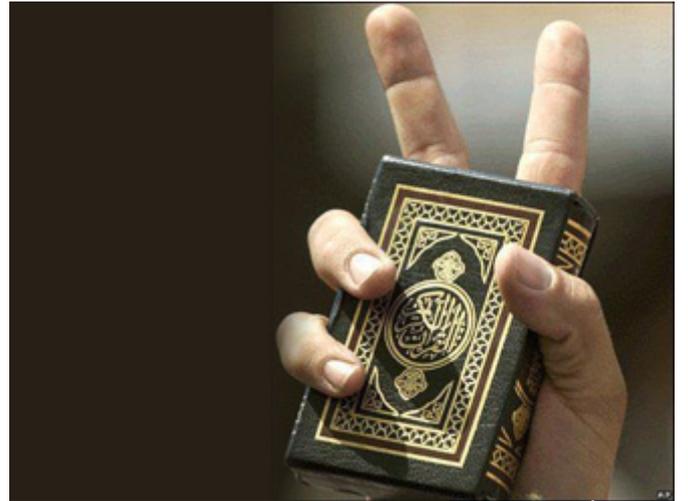
(لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ خَرَجَ مَعَهُ يُوصِيهِ) انظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف وهو قائد الأمة أن يخرج مع جنديٍّ من جنوده أو مع سفيرٍ من سفرائه ليسير معه ويودعه، **(وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي تَحْتَ رَاجِلَيْهِ)** انظروا إلى هذا الأدب النبوي، عندما يؤدب الله نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا الأدب.



تَعْلَمُ الصَّحَابَةُ لِلأَدَبِ مِنْ مَدْرَسَةِ النَّبِيِّ

هذا يُدَكِّرُنَا بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يَوْمَ سَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقَ الْجَيْشِ، جَيْشَ أُسَامَةَ، وَأَنْفَذَ بَعَثَ أُسَامَةَ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ يُوَدِّعُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأُسَامَةَ عَمْرَهُ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ، فَائِدَ الْجَيْشِ، وَأَبُو بَكْرٍ مَنْ هُوَ فِي الْفَضْلِ وَالْعَمْرِ فَيَقُولُ لَهُ أُسَامَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ، لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ أَكُونَ رَاكِبًا وَأَنْتَ مَاشٍ، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَا نَزَلْتُ وَلَا رَكِبْتُ وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُعْتَبَرَ قَدَمِي سَاعَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ بَسَّأْتَهُ، أَبُو بَكْرٍ، يَسْتَأْذِنُ أُسَامَةَ أَنْ يُبْقِيَ لَهُ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَدِينَةِ مَعَهُ لِيُعِينَهُ عَلَى أَعْيَاءِ الْحَكْمِ، يَسْتَأْذِنُهُ لِأَنَّهُ فَائِدَ الْجَيْشِ الْآنَ، هَذِهِ التَّرَاتِيْبَةُ تَعَلَّمْنَا أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ الْفَاضِلَ الْمَفْضُولَ، أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ فِي وَقْتِهَا لِأَنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَسْتَأْذِنَ أُسَامَةَ الَّذِي هُوَ بِعَمْرٍ أَبْنَانَهُ لَكِنْ هُوَ الْآنَ فَائِدَ جَيْشٍ وَهَؤُلَاءِ الْجُنُودِ جُنُودُهُ فَاسْتَأْذَنَهُ بِأَنْ يُبْقِيَ لَهُ عَمْرَ، فَهَذَا سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ تَعَلَّمَ ذَلِكَ مِنْ مَدْرَسَةِ النَّبِيِّ، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ.

ثم تكرر الأمر نفسه بعد عشرة أعوام أو أكثر يوم خرج عمر بن الخطاب إلى القدس إلى فلسطين ليتسلم مفاتيح القدس، فكان مع أبي عبيدة بن الجراح ومع الخادم، فأصبح يجعل نوبة لكل واحدٍ على الناقه، على الراحلة، فلما وصلوا كان دوره في المشي وجاء الوحل فرقع ثيابه وغاص في الوحل، فيقول له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين ما أحبُّ أن القوم استشرفوك على هذه الحال، تدخل عليهم وأنت في هذه الحال! فقال له قولته الرائعة التي أصبحت مثلا يضرب: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله".



نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ

قال له: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، أنت أمين هذه الأمة لا ينبغي أن تعتبي بهذا الأمر، الأمر أكبر من ذلك، "أعزنا الله بالإسلام"، وهذا أيتها الكرام؛ قانون ينبغي أن يسري إلى قيام الساعة، بعض الناس اليوم يقولون: يا أخي مازلنا من دل إلى دل ومن ضعف إلى ضعف، مع أنني والله أستشرف خيرا في هذه الأمة وأرى أننا نكثر من جلد الذات وأن فينا من الخير ما فينا وأسأل الله تعالى أن يزيد هذا الخير ويعم، صحيح أننا في ضعف وفي هوان لأننا تركنا القانون العمري، القانون العمري: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله"، هناك أقوام آخر ما أعزهم الله بالإسلام، هم اعتزوا بغير الله فتركهم الله لما اعتزوا به، فلربما تفوقوا علينا حيناً وقوانينهم مختلفة عنا لكن نحن أعزنا الله بالإسلام، فما من زمن كنا فيه متمسكين يديننا إلا كانت لنا القوة والعزة والثقل وكانت البلاد بأيدينا وكانت القدس لنا، ولما جدنا عن الطريق فإن الله تعالى جعل هذه السنة ماضية، ما إن تجد عن طريق الله عز وجل حتى تضرب علينا الذلة والضعف والهوان، نسأل الله أن يفرج وأن يجعل لنا بعد عسر يسرا.

فتذكرت كيف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي ومعاذ ركب، فجاءني ذكرى أبي بكر يوم مشى وأسامه ركب، ثم ذكرى عمر بن الخطاب يوم مشى وعُلامه ركب، فكلمهم خريجو مدرسة واحدة إنها مدرسة الإسلام العظيم.

الإسلام يجمعنا على العقيدة:



المفهوم الأوسع لآل بيت الرسول الكريم
(إِنَّكَ عَسَىٰ أَن تَلْقَانِي بَعْدَ غَايِي هَذَا) لعلّه يكون الوداع، (فَبَكَى مُعَاذٌ) علم أنه الوداع، (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبَيْتِ الْمُتَّقِينَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا) هنا سامحوني.. آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على العين والرأس، ونحن نتقرب إلى الله بحب آل بيته، لكن هناك مفهوم لآل البيت أوسع بقليل من مفهوم آل البيت بمعنى أهل البيت؛ وهذا ذكره أهل العلم وليس من عندي؛ المفهوم الأوسع لأهل البيت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا أَنْتَ عَجَبٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ □ رَحِمْتَ اللَّهُ وَتَرَكَاهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ النَّبِيِّ □ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)

(سورة هود)

(أَهْلَ النَّبِيِّ) هم الْمُتَّقُونَ أين كانوا وَحَيْثُ كَانُوا، (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبَيْتِ الْمُتَّقِينَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا) فال بيت الله صلى الله عليه وسلم هم الْمُتَّقُونَ مِنْ أُمَّة، وهذا أوسع مفهوم، وهذا المفهوم قريب من قصة نوح مع ابنه، ابنه كان كافراً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)

(سورة هود)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ □ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ □ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ □ إِنِّي أَعْطُكَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)

(سورة هود)

ويشبه تماماً أبا لهب، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)

{ جاء عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **سَلَمَانٌ مِنَّا أَهْلُ النَّبِيِّ** }

(أخرجه الطبراني)

وسلمان فارسيٌّ لكن النبي صلى الله عليه وسلم جعله من أهل بيته، وصهيب الرومي:

{ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: أَقْبَلَ صُحَيْبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُهَاجِرًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْهُ تَعْرٌ مِنْ فُرَيْشٍ، فَتَزَلَّ عَنْ رِجْلَيْهِ، وَانْتَلَّ مَا فِي كِتَابَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ فُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاحِكُمْ رَجُلًا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أُرْمِيَ كُلَّ سَهْمٍ مَعِيَ فِي كِتَابَتِي، ثُمَّ أَصْرَبَ بِسَيْفِي مَا يَفِي فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ أَفْعَلُوا مَا سَنُّتُمْ، وَإِنْ سِنُّتُمْ دَلْتُكُمْ عَلَى مَا لِي دَفِينِي بِمَكَّةَ، وَخَلَيْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، تَقْبَلُ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ: **رِيحُ النَّبِيِّ أَمَا يَحْتَى، رِيحُ النَّبِيِّ أَمَا يَحْتَى** قَالَ: وَتَزَلَّتْ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} }

(رواه ابن أبي خاتم في التفسير)

يقول له: (**رِيحُ النَّبِيِّ أَمَا يَحْتَى، رِيحُ النَّبِيِّ**).

ولبلال الحبشي؛ كان الصحابة يقولون: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَاتَنَا، فيقولون لبلال الحبشي وهو من الحبشة هو سَيِّدُنَا، وهو مِنَ الحبشة، فالإسلام أممي. الإسلام يجمعنا على العقيدة لا يجمعنا على النسب، أعيد وأكرر التَّسَبُّبَ على العين والرأس، لا أنكر أهمية التَّسَبُّبِ في الإسلام لكن هو تاج بعد الإيمان والخُلُق، فإذا فُيِّدَ الإيمان والخُلُق فلا قيمة للتَّسَبُّبِ.

{ وَمَنْ تَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُشْرَعْ بِهِ تَسْبُهُ }

(أخرجه مسلم)

{ يَا فَاطِمَةُ، أَتُفِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَفْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا }

(صحيح مسلم)

الإسلام أهل بيته هم المسلمون والمُتَّفِقُونَ فِي أَيِّ زَمَانٍ كَانُوا وَمِنْ أَيِّ عَرَقٍ كَانُوا وَحَيْثَمَا كَانُوا فَهَذَا يُؤَكِّدُهُ الْآنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا وَدَّعَ مَعَادًا: (**الْتَقَتْ بِوَجْهِهِ تَحْوُ الْمَدِينَةَ فَقَالَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِبِي الْمُتَّفِقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا**).

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: **إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُؤُوا بِالْمُتَتَعَمِّينَ** }
(رواه الإمام أحمد)

التحذير من التَّعَمُّمِ في الدنيا:

أيضاً هذا في الصحيح، لكن هنا يحتاج الأمر إلى شرح، ما منا إنسانٌ إلا ويتَّعَمُّ بالدنيا، ولا يمنع شرعاً أن يأخذ الإنسان من نعيم الدنيا، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أصاب طعاماً وأكل تمرًا وشرب ماءً قال والله إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ثم قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

(سورة التكاثر)



التَّعَمُّمُ وسيلةٌ وليس غاية

فكلنا نتَّعَمُّ بالدنيا، فما معنى **(إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ)**؟ يحذره من التَّعَمُّمِ، التَّعَمُّمُ من تَتَمَّ، يَتَّعَمُّ أي جعل قصده في الحياة التَّعَمُّمَ فاستهدفه فأصبح همُّه التَّعَمُّمُ، وهنا المشكلة، التَّعَمُّمُ وسيلةٌ وليس غاية، فقال العلماء: المقصود بالحديث **إِيَّاكَ** أن تجعل التَّعَمُّمَ غايتك في الحياة، غايتك رضوان الله، وتَتَّعَمُّ ما دام هذا التَّعَمُّمُ في طاعة الله، فإذا وجدت أنه سيؤدِّي بك إلى معصية تركته، أو إذا وجدت أنه معصية في حدِّ ذاته كَمَنُ يَتَّعَمُّ بالشهوة الحرام والعياذ بالله أو بالمال الحرام فهذا بعيدٌ عن مقصد الحياة، نحن مخلوقون في الدنيا لهدفٍ وهذا الهدف هو تحقيق رضوان الله تعالى وعبادته على الوجه الكامل بالطريقة التي شرعها جلَّ جلاله، العبادة بمفهومها الواسع لا بمفهومها الضيق، فكلُّ حركةٍ في الحياة يُبتغى بها وجه الله وتأتي وفق شرع الله فهي عبادة، فالطبيب في عبادته يُعْبُدُ الله، والنجار في منجرتِه يُعْبُدُ الله، وعامل النفايات الذي يعمل في الوطن لِيَلْمُ النفايات يُعْبُدُ الله بعمله، مفهوم العبادة واسع جداً كلُّ إنسانٍ في مهنته، مع أهله، ربما في نزهته مع أهله فهو يُعْبُدُ الله ما دامت حركته وفق منهج الله ويتبعي بما يفعله وجه الله فهو في عبادة، هذا المفهوم العام للعبادة، أما العبادات الشعائرية: الصلاة والصيام والزكاة والحج هي جزءٌ مِنَ العبادات وهي أركان الإسلام وبنَى الإسلام عليها لكنَّ الإسلام كله عبادة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات)

لأن بعض الناس يفهمون أن العبادة هي تلك العبادات الشعائرية الخمس، فيقول لك: هل الله عزَّ وجلَّ يريد صلاتنا وصيامنا؟ لا، الله تعالى يريد أن تعبده بمعنى العبادة الواسع الكلي الذي يعمُّ الأرض بالخير.

فهنا **(إِيَّاكَ وَالتَّعَمُّمَ)** يُحذِّره من أن يصبح النعيم هدفاً له في الحياة، قلت لكم: إنني فرأت لبعض علماء النفس أنهم يقولون: "إذا استهدفت اللذة في ذاتها انقلبت إلى شقاء".

أي لذة تستهدفها تنقلب إلى شقاء، الإنسان الذي يستهدف النساء- شهوة النساء- ومما حلَّ أو مما حُرِّم بعد حين هذه اللذة تنقلب إلى شقاءٍ عليه، يَمَلُّهَا، فتصبح مصدر تعاسٍ بعد أن كانت مصدر سعادةٍ فيما يظن، فاللذة لا تُستهدف وإنما تكون وسيلةً لغاية، فنحن نتَّعَمُّ بالدنيا بطاعة الله وبما يرضي الله لا مانع، لكن لا نتَّعَمُّ بالدنيا لأننا لم نُخلق للتَّعَمُّمِ، يعني لا نجعل التَّعَمُّمَ هدفاً، هذا هو معنى الحديث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَهْتُمْ طَبَّائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

(سورة الأحقاف)

هو جعل الدنيا أكبر همّه فأذهب طبيّاته في الحياة الدنيا، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول:

{ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو يَهْؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَنْعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوْتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْهُ
الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،
وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا }

(صحيح الترمذي)



الهمُّ الأكبر هو الآخرة

(اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا) ولم يقل: اللهم لا تجعل الدنيا همّنا، انظر إلى دقة اللفظ النبوي: لو قال: اللهم لا تجعل الدنيا همّنا، من منا لا يهتمُّ للدنيا؟ أنت اليوم في تجارتك عندك مشكلته فلا تنام الليل، هذا واقع، إذا مرضَ ابنك - نسأل الله السلامة للجميع - تطلق عليه وتسهر على راحته، من منا لا يهتمُّ للدنيا؟ لكن ليست أكبر الهم، ما أكبر همّنا؟ الآخرة، أكبر الهمّ هو الآخرة، الدنيا همٌّ من الهموم لكنها ليست أكبر الهم، قال: **(وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا)** لأن مَبْلَغُ الْعِلْمِ أَنْ تَصِلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، أَمَا الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَبْلَغُ الْعِلْمِ، مَهْمَا بَلَغَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعِلْمِ فَهِيَ جِزْءٌ.

فيا أحببانا الكرام: قال: **(إِيَّاكَ وَالتَّوَكُّلَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لِيُسْوُوا بِالْمُتَتَكِّمِينَ).**

رحمة الله عزَّ وجلَّ بعباده:

عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: وَهَذَا أَيْضًا يَبْدُو فِي رِحْلَةِ الْيَمَنِ كَمَا هُوَ سِيَاقُ الْحَدِيثِ:

{ يَا مُعَاذُ، أَتَبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمْجُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ }

(رواه الترمذي)

(أَتْبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) أي تمحو الحسنه السيئه، (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ) وهذا مستفادٌ مِنْ حديثٍ آخِرٍ فِي الصَّحِيحِ وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مَا جَعَلَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَى رَأْسِ الْأَبْوَابِ فِي الشَّرِيعَةِ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا،

وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ" }

(رواه الترمذي)

كلنا ذو خطأ مَنْ مِنَّا لَا يَفْعُ فِي الْخَطَا؟

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }

(رواه الترمذي)

لكن المؤمن إذا وقع في سيئه أتبعها بالحسنة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ □ ذَلِكَ ذِكْرُكَ لِلذَّاكِرِينَ (114)

(سورة هود)

الحسنة تُذهب السيئة وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِنَا.

أحياناً فِي الْقَوَائِمِ الْوَضْعِيَّةِ؛ مَدِيرِ شَرِكَةٍ لَيْسَ عِنْدَهُ فِي قَانُونِهِ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) يُسَجَّلُ عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ، إِنْ صَنَعْتَ مَعْرُوفًا أَذْهَبَ مِنْكَ رَأً، لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَحْمَتِهِ بِنَا إِذَا وَقَعْتَ فِي سَيِّئَةٍ فَاتَّبِعْهَا بِالْحَسَنَةِ تَذْهِبُ السَّيِّئَةَ، انْتَهَى الْأَمْرُ، هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

الفرق بين المغفرة والصفح والعفو:

والله أيها الكرام: لولا أن الله فتح لعباده هذه الأبواب أبواب الرحمة لضافت علينا الأرض بما رحبت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)

(سورة التوبة)

مَنْ مِنَّا لَا يُذْنِبُ؟! وَإِذَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا رَبًّا رَحِيمًا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الدَّلَّةِ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، اللَّهُ تَعَالَى يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، وَأَمَرْنَا فَقَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ فَاعْتَصِرُوا ۖ وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

(سورة البقرة)



المغفرة هي السِّتْر

(فاعفوا واصفحوا) واغفروا، والمغفرة هي السِّتْر، ألا نقول: جمع غفير، ما معنى جمع غفير؟ من كثرة الناس عطى تجمعهم وجه الأرض فقالوا: جمع غفير، فَعَفَّرَ مِنَ الْغَطَاءِ، ومثلها كَفَّرَ نَسَالَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ مِنَ الْغَطَاءِ، كَفَّرَ وَعَقَّرَ التَّغْطِيَةَ، الْكَافِرَ عَطَىٰ عَيْنِهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)

(سورة الكهف)

فَعَطَىٰ عَيْنِهِ عَنِ الْحَقِّ فَسَمِّيَ كَافِرًا لِأَنَّهُ عَطَىٰ أَعْيُنَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ عِنْدَمَا يَسْتُرُ ذَنْبَكَ فَهُوَ يَغْفِرُهُ، يَعْنِي أَنْتَ تَذَنْبَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ، غَطَّاهَا لَكَ، هَذِهِ الْمَغْفِرَةُ، أَمَا الصَّفْحُ، قَالَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفْتَضِرُّبُ عَنْكُمْ الذُّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (5)

(سورة الزخرف)

فَنَقُولُ: صَفَحَ عَنْهُ: أَيِ اعْتَصَمَ صَفْحَةَ وَجْهِهِ، أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَقَعُ فِي الذَّنْبِ أَمَامَكَ أَوْ وَقَعَ فِي مَوْقِفٍ مَّحْرَجٍ يَا أَخِي وَلَيْسَ بِالذَّنْبِ أَنْسَبُ شَيْءٍ تَفْعَلُهُ أَنْ تُدِيرَ وَجْهَكَ، تَغَاضَى، تَغَافَلَ، مِنْ خَلَقِ الْمُؤْمِنِ التَّغَافُلَ.

يَقَالُ إِنَّ حَاتِمَ الْأَصْمِ سُمِّيَ الْأَصْمَ لِأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ وَزَيْنُهَا ثَقِيلٌ فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهِ فَخَرَجَ مِنْهَا صَوْتُ أَجَلِّكُمْ اللَّهُ، فَأُجْرِحَتْ إِجْرَاجًا عَظِيمًا مِنْهُ وَاحْمَرَّتْ وَجْهَهَا أَمَامَ الْقَاضِي، وَصَلَتْ إِلَيْهِ تُرِيدُ أَنْ تَحَدِّثَهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي، فَقَالَ: ارْفَعِي صَوْتَكَ لَا أَسْمَعُكَ، فَرَفَعَتْ، قَالَ: لَا أَسْمَعُ، أَنَا سَمِعِي خَفِيفٌ، فَادَارَتْ وَجْهَهَا إِلَىٰ أُخْتِهَا الَّتِي مَعَهَا قَالَتْ لَهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَمْ يَسْمَعْ، فَسَمِيَ الْأَصْمَ وَهُوَ لَيْسَ أَصْمًا لِأَنَّهُ تَغَافَلَ عَنِ هَذَا الشَّيْءِ، أَمَّا بَعْضُ النَّاسِ إِذَا رَأَى إِنْسَانًا وَقَعَ فِي مَوْقِفٍ مَّحْرَجٍ يَضَعُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ فَوْرًا، لَيْسَ هَذَا مِنَ الْأَدَبِ، يَجِبُ أَنْ تَتَغَاضَى عَنْهُ، فَالصَّفْحُ أَنْ تُعْطِيَهُ صَفْحَةَ وَجْهِكَ، فَاللَّهُ تَعَالَىٰ يَسْتُرُكَ وَمِنْ لَطْفِهِ أَنَّهُ يَصْفَحُ عَنْكَ.



العفو هو محو الذنوب نهائياً

إما العفو فيقال: عقت الآثار، أثار الأقدام عقت يعني مُسحت بشكل كامل، ذهبت، مسحها نهائياً، فالله تعالى يتعامل مع ذنوبنا بأنه يغفرها، يسترّها عن الناس، ويصفح عنها بمعنى أنه يتجاوز عنها ولا يذكرك بها ولا يُخجلك بها، وأنه يعفو بمعنى أنه يمحوها نهائياً من صحيفتك فتأتي يوم القيامة فلا تجدها، غير مسجلة، انتهت، فإذا بقي شيء عليك يتابع عفوهُ جلّ جلاله يوم القيامة، إذا بقي شيء يتابع عفوهُ، فجاء في الحديث:

{ بَيْتَمَا أَتَا أُمِّيئِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَجَدُ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُذِيي الْمُؤْمِنِ، فَيَصْعُ عَلَيْهِ كَتَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَنْتَ عَرِفْتُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَنْتَ عَرِفْتُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا فَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي تَفْسِيهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَتَا أَعْفَرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُتَأَفِّفُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: { هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الطَّالِبِينَ } [هود: 18]

(صحيح البخاري)

فالله تعالى يغفرُ ويصفح ويعفوُ فما أكرمه من إله، فما رُدُّ فعلنا نحن؟ إذا وقعنا في الذنب أن تُبادر إلى بابه فوراً، ألا نتأخَّر عليه. إذا أياها الكرام: **أَتَبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا** هذا العفو، المحو نهائياً، تُلغى، **(وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ)** خالق: أي عامل، فيه فعل مبادلة، مشاركة، لأنه قال: قاتل بمعنى القتال من الطرفين، عاملَ معاملة من الطرفين، خالقه أي عامله بخُلُقٍ حسنٍ، وذكرنا من الأخلاق الحسنة: التواضع والوفاء والحب والخير وكل ما يندرج تحت الأخلاق الحسنة.

سيدنا معاذ في نهاية رحلته:

معاذ بن جبل أصيب بالطاعون في الشام فكان يُعشى عليه-يغيب عن الوعي قليلاً- فإذا أفاق قال: **(اللَّهُمَّ عَمِّي عَمَكَ)** هُمُّهُ اللهُ، هُمِّي رِضَاكَ، **(إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيُّ أَجْبَكَ)**، فلما حضرته الوفاة، قال: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَبَلَةٍ صَبَاخَهَا إِلَى النَّارِ، مَرْجَتَا بِالْمَوْتِ، مَرْجَتَا، رَائِزٌ جَاءَ بَعْدَ غِيَابِ، وَحَيْبٍ وَقَدْ عَلَى سَقُوقٍ)**، ثم نظر إلى السماء وقال: **(اللَّهُمَّ أَيُّ كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ الدُّنْيَا وَطَوْلَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِعُزْسِ الْأَشْجَارِ، وَخِزْيِ الْأَنْهَارِ، وَلَكِنْ لَطَمًا الْهَوَاجِرِ، وَمَكَابِدَةَ الشَّاعَاتِ، وَمَرَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ جَلْقِ الذِّكْرِ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ تَفْسِي بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلُ بِهِ تَفْسًا مُؤْمِنَةً)**، ثم فاضت روحه.

بين الخوف والرجاء:

شرح الكلام: **(اللَّهُمَّ أَيُّ كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ)** أَرْجُوكَ: المؤمن في لحظات الموت ينتقل من حال الخوف إلى حال الرجاء، يعيش على حال الخوف فلما تحضره الوفاة يأتيه الرجاء برحمة الله، يغلب عليه الرجاء وهذا من رحمة الله بالإنسان.

سيدنا عمر بن عبد العزيز كان كلما دخل دار الخلافة قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (207)

(سورة الشعراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

(سورة القصص)

فعاش على الخوف وحثم له بالرجاء، ومعاذ بن جبل عاش على الخوف من الله وحثم له برجاء رحمة الله، (اللَّهُمَّ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ لَكِنِّي الْيَوْمَ أَرْجُوكَ)، وقد جاء في الحديث القدسي:

{ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْتِينَ، إِذَا أَمْتَنِي فِي الدُّنْيَا أَحْفَنُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمْنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) }

(أخرجه ابن حبان)



معادلة الأمن والخوف

(لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْتِينَ) أَمْتِينَ لَا يُوْجِدُ، وَخَوْفِينَ لَا يُوْجِدُ، (إِذَا أَمْتَنِي فِي الدُّنْيَا أَحْفَنُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمْنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هِيَ مَعَادِلُهُ عِنْدَكَ أَمَّنٌ وَخَوْفٌ، اخْتَرِ مَاذَا تَرِيدُ أَوَّلًا، إِذَا كُنْتَ نَاجِحًا فَالْحَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ نَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ أَوَّلًا لِأَنَّ الْخَوْفَ مَحْدُودٌ، سَنَوَاتٌ مِنَ الْخَوْفِ بَعْدَ ذَلِكَ يُوْجِدُ أَبَدًا الْآبِدِينَ، وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ يَحِبُّ أَنْ يَأْمَنَ مَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْمَنَ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَفْعَلُ مَا يَحِلُّ لَهُ فِي السَّنَوَاتِ الْمَحْدُودَةِ فَلْيَتَّجِهْ لَخَوْفٍ إِلَى الْآبِدِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، (لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْتِينَ).

فقال: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعَلَّمْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَجِبْتُ الدُّنْيَا وَطَوَّلْتُ التَّبَاقُءَ فِيهَا لِعُزْسِ الْأَشْجَارِ، وَخِزْيِ الْأَنْهَارِ) لَمْ يَكُنْ هَدَفِي مَادِيًّا، لَمْ يَكُنْ هَدَفِي مَزَارِعَ وَكَذَا أَبَدًا، (وَلَكِنْ لَطَمًا الْهَوَاجِرِ) الطَّمَا هُوَ الْعَطَشُ، الْهَوَاجِرُ جَمْعُ هَاجِرَةٍ وَهِيَ الصَّحْرَاءُ، يَعْنِي كَانَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، طَمًا الْهَوَاجِرِ، كِتَابَةٌ عَنِ الْجِهَادِ وَالتَّعَبِ.

قال: (وَمَكَابِدَةُ السَّاعَاتِ) التَّعَبُ، الْكَبْدُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)

(سورة البلد)

يعني في تعبٍ ورهق، فكان يُحِبُّ الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ الْبَدْلِ وَالْعَطَاءِ حَتَّى يُقَدِّمَ شَيْئًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
(وَمَرَّاحَةُ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ عِنْدَ جَلْقِ الذِّكْرِ) حُضُورُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ، (اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ نَفْسِي بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلْتُ بِهِ نَفْسًا مُؤْمِتَةً) ثُمَّ فَاضَتْ رُوحَهُ.

مصادر التشريع في الإسلام:

هذه رحلة اليمن جمعك فيها الأحاديث الشريفة التي صحت عن معاذ بن جبل أنه ذهب إلى اليمن وأوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بها، هناك حديثٌ إتماماً للفائدة؛ وهذا له علاقة بالأصول أو بالفقه وهو أصل في بابه:

{ عَنْ أَنَسٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ " كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ "، قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ " فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ "، قَالَ: فَيَسْتَنْوِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ " فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ " قَالَ: أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو، فَصَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ وَقَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ " {
(أخرجه أحمد وصححه بعض أهل العلم)



القرآن والسنة أول مصدرين للتشريع

(كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ؟) يعني أنت اليوم عندك قضاء، أنت اليوم ذاهبٌ كفاض ومفتٍ وسفير فيأتيك الناس، **(بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ)** يفتح كتاب الله وما يأمر الله به، **(فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ)** لم تجد الحكم في كتاب الله، **(أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو)** يعني ولا أقصر، أستنفذ الوُسْعَ في وصول الحكم الصحيح بالاجتهاد، والاجتهاد هو بناءٌ على النصوص ليس اجتهاداً مجرداً عن النصوص، يعني قد يأتيك شيءٌ الحكم فيها غير موجود لكن تجتهد اليوم بناءً على النصوص الموجودة، **(فَصَرَّبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)**، فأصل هذا الحديث أخذوا منه أن القرآن الكريم في المرتبة الأولى في الحكم الشرعي، ثم تأتي السنة الصحيحة، ثم يأتي الاجتهاد الذي يُسميه الفقهاء بالقياس يعني يقيس شيئاً على شيءٍ ويستنبط منه الحكم الشرعي وله ضوابطه، لكن هذه أيضاً في رحلة اليمن فأحببت أن أضيفها، وأشكر لكم حُسن الاستماع والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.